الأمثال
الشعبية المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

© منشورات مكتبة السلام الجديدة
جميع الحقوق محفوظة للناشر
عنوان الكتاب: الأمثال الشعبية المغربية - الجزء I
المــؤلــف: ذ. إدريس دادون
الطبعة الثانية: 1428 - 2007.
رقم الإيداع القانوني: 2007/2535.

ذ. إدريس دادون

الأمثال الشعبية المغربية

الجزء الأول

مكتبة السلام الجديدة

الإهـداء

إلى من أوقدوا جـذوة الحماس في نفسي، وساهموا ولا يزالون في نشر الوعي والثقافة.

وإلى جميع من جعلت لهم الأمثال والحكم والمعاني الشعبية ضالة منشودة، للاستفادة من تأثيرها الفعال في التوعية الاجتماعية بالوطن.

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذه الباقة من الزهور ذات الأريج المتنوع، والمنعش للنفوس.

المقدمة

الحكم والأمثال الشعبية وقيمتها في الحياة

الأمثال والحكم والمعاني الشعبية هي عصارة تجارب الحياة التي عاشها أسلافنا. فهي تربي في نفوسنا كيفية التعامل مع غيرنا في الحياة الاجتماعية المعقدة التي نعايشها. فالناس فيها تختلف طبائعهم وميولاتهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم بالاستقامة أو بالانحراف. وهذه المعاملات مع غيرنا لا غنى لنا عنها في الأخذ والعطاء، وفي تبادل المصالح والمنافع، والناس تخلف نفسياتهم؛ فهذا عصبي المزاج، وذلك سلس الانقياد، وآخر أناني الطبع، لا تهمه إلا مصلحته، لذلك فقد يستطيع كل منا بهذه الحكم والأمثال والمعاني الشعبية، ولا سيما العامية منها، أن يؤثر بها على الغير؛ وذلك إما لإصلاح سلوكه، أو لتليين طبيعته، أو تنبيهه إلى أخطار الحياة التي تجابهنا أينما حللنا، أو ارتحلنا، وفي كل وقت وحين، والمثل العربي يقول: "السعيد من اتعظ بغيره". لذلك ارتأيت وخطر ببالي، وأنا قد غرفت من معين هذه الأمثال والحكم والمعاني، والتعابير الشعبية منذ نعومة أظافري، وطيلة مراحل السنين التي قضيتها في الحياة، وسلختها من عمري بين مختلف الطبقات الاجتماعية، والاحتكاك بها، ألا أبخل على مجتمعي بتدوين البعض من هذا التراث الذي لا ينضب معينه كبداية لفسح المجال والطريق أمام غيري في المستقبل، لأن ما أدلي به هو بمثابة قطرة من بحر، وهو في تجدد مستمر، يتنامى مع تجارب الحياة وتطور أجيالها وأزمنتها وظروفها. وقررت أن أبذل كل جهدي في إضافة كل ما سمعته من غيري، ممن عركتهم تجارب السنين، وتفجرت ينابيع حكمتهم من هذه الحكم والأمثال والمعاني الشعبية،

لكي لا تضيع في طي النسيان، وتعاقب الأجيال، فيستفيد منها الكل، لأنها إرث أدبي شعبي له قيمته، وجدير بالتقدير والاعتبار في الحياة، وفي جميع الميادين الثقافية: سواء منها الاجتماعية، أو الأدبية، أو الفنية. فكم من الأمثال والمعاني الشعبية كان لها التأثير الكبير على النفسيات، وأصلحت أشخاصا، وجعلت سلوكهم مستقيما ! وكم من أخرى شحذت العزائم، وحققت الخوارق والمعجزات ! وذلك إما اقتصاديا، أو اجتماعيا، أو فنيا. ومنها التي ساهمت في تطور المجتمعات لدى الشعوب بشعبيتها ومعانيها المؤثرة في النفوس، مما عجزت عن تحقيقه النظريات العلمية والفكرية والاجتماعية التي توالت في الحقب والأزمنة الغابرة.

ثم إن لكل مدينة أو قرية أو بادية أمثالها الخاصة بها، والتي استقتها من تجاربها، واتخذتها نبراسا يضيء طريقها في الحياة، وكانت كالجذوة التي يقتبس من نارها، فتنتقل من جد إلى أب، ثم إلى ابن أو بنت، أو زوج، أو زوجة، أو صديق، حتى تنتشر، فيعم نفعها في كل البقاع والأصقاع. وحتى الأغاني الشعبية والفن من شعر الملحون، ومن المسرح الشعبي لا يخلو بدوره من هاته الحكم والأمثال والمعاني الشعبية، كي تساهم بدورها في إصلاح المجتمعات بتأثيرها على النفوس كي ترقى، وتتهذب من حسن إلى أحسن. كما أنها تنبه الناس كي لا يقعوا فيما ينصبه الدجالون والمحتالون للناس من فخاخ وشراك ليتورطوا في حبالهم وشرورهم، ويصطادوهم لقما سائغة؛ ثم إن الحازم من الناس هو من يفكر في الأمر ويحتاط له قبل الوقوع فيه، فيعرف ماله، وما عليه، وما العواقب التي تنتج عن القيام بعمل أو التخلي عنه؟ وكيف نستفيد مما هو صالح، وننبذ ما هو طالح؛ فالأمثال والمعاني الشعبية لا يعرف قيمتها إلا العاقلون، فهي تفيد الصغير والكبير، والجاهل والعالم وجميع أصناف الطبقات الاجتماعية، مهما اختلفت ميولهم واتجاهاتهم السياسية والعلمية والاقتصادية، ومهما اختلفت مهنهم ومستوياتهم الفنية.

يعلم الله كم قضيت من الأيام بلياليها وأنا صابر ومنهمك في جمع هاته الحكم من الأمثال والمعاني الشعبية التي تعبر عن تجارب أجيال مغربية مضت عبر العصور

والأجيال، فهي تنطوي على معاني وحكم في غاية الروعة البلاغية، سواء منها البيانية أو الفنية. وكم قضيت من الأوقات شارحا إياها شرحا موجزا سلسا، بأسلوب قد يقترب أحيانا من العامية، وذلك كي يفهمها الصغير والكبير، والمتضلع علميا وغير المتضلع. هدفي هو الاستفادة من هذا التراث القيم الشعبي الذي يطوي بين ثناياه تجارب الحياة المعيشة ويعبر عما جادت به القرائح الناضجة في الأزمنة الغابرة، والتي ينطبق بعضها على كل زمان، ويتحقق في كل مكان. ويعلم الله بأن كثيرا من هاته المعاني والحكم قد تعودت على سماعها وأنا في سن الحداثة والصبا، فرسخت في ذاكرتي عن عجائز، وشيوخ وكهول، ممن كنت على صلة بهم من الأقارب والمحيط الشعبي الاجتماعي، فكنت أستوعبها حسب الظروف التي كانت مشابهة لها عندما نطقوا بها.

ظلت هذه العادة مترسخة في نفسي، بحيث قد يحضر المثل عفويا في ذهني، أو في ظروف مشابهة له، وقد أتذكره وأنا نائم، فأنهض من نومي وأسجله، قبل أن يغيب عن ذاكرتي؛ وأحيانا أخرى قد تتوارد أمثال ومعاني في ذهني فأتغافل عنها، فيطويها النسيان. وكما يقال: «العلم صيد والكتابة قيد. فمن لا قيد له، هرب صيده» وقد يذكرني معنى أو مَثَلٌ بالكثير مما يشبهه، أو ببيت من الشعر، فأستشهد بذلك أحيانا.

لقد بذلت جهودا مضنية لأحقق أمنيتي في الحفاظ على هذا النوع من التراث الشعبي الخالد، حسب ما هداني الله ووفقني إليه، لأضيف لبنة في البناء الذي سبق إليه إخوان، عساي أنير طريق الحياة لشباب تائه لا يتوفر على التجربة والخبرة الضروريتين. فهما سلاح لكل امرئ لا غنى له عنه في خضم هذه الحياة التي تحتاج إلى كثير من اليقظة لتحقيق رغباتنا المتنوعة والمتعددة.

فما أحوج أجيالنا الحالية والمقبلة ذكورا وإناثا للاطلاع على هذا التراث، كي تكتمل تربيتهم ويستقيم سلوكهم ويأخذون حذرهم، فيبتعدون عن الانحراف، فهو معول يحطم البناء الاجتماعي، وحتى لا تبقى الماديات طاغية على المعنويات،

حافز تأليف هذا الكتاب

فيحدث توازنها بين المواطنين بجمع ما نقش في الأذهان منها، وبما سُمع أو ما يُسمع منها، حتى لا يضيع في طي النسيان، ولكي تستفيد منها ومن ثمارها الأجيال الحالية والمقبلة بإذن الله ؛ ورغبة في تلبية هذه الرغبة ألفت هذا الكتاب لتزويد المواطنين بما يفوق ثلاثمائة وأَلْفَين من الحكم والأمثال والمعاني الشعبية ذات التوجيه التربوي، والمليئة بالتجارب والخبرات بما هو صالح لأفراد المجتمع، فيقتفون أثره، ويحذون حذوه. وبما هو ضار ومؤذ لهم، فينتبهون لما هو مؤذ وضار فيتجنبونه ويعرضون عنه.

لقد عشت طفولتي وسط أجيال شعبية في مدينة فاس، وكانت هذه الأجيال متعددة الاتجاهات ومتنوعة المهن والاختلافات والاتجاهات، مفتونة بالأمثال الشعبية وحكمها ومعانيها، وكان تداولها بينهم ضالتهم المنشودة، يتخذونها نبراسا ينير سبل حياتهم، وكنت أحيانا أرددها عن دراية بفحواها ومغزاها، وأحيانا أخرى ألوك ألفاظها ولا أدري معانيها أو أستوعب شيئا منها إلى أن جاد الله علي بالدرس والتحصيل، فلاحظت من سحر بيانها ومعانيها الروعة الأدبية ممن أتحفونا بها عبر تعاقب الأجيال.

هذا ما جعلني أهتم بجمع هذا القدر المتواضع منها مما يفوق ثلاثمائة وأَلْفَي حكمة ومعنى، عساي أن أكون بذلك قد ساهمت في الاحتفاظ به لأبناء وطني. هذا وقد شرحت شرحا موجزا يساعد على استيعابه والاستفادة من يانع ثماره، حتى لا يمحوه النسيان بتعاقب الحدثان. لاسيما وقد طغت على هذا العصر لغات متعددة

وتيارات فكرية متنوعة قد تجعلهم ينسون أو يتناسون تراثهم الحضاري وثقافتهم الشعبية التي هي مصدر هويتهم وانتسابهم لوطنهم. فالمرء لا يمكن أن ينسلخ عن ثقافته الشعبية، وتراثه بما فيه من عادات وتقاليد ولهجات مهما بلغ تأثره بالحضارة الأجنبية، لأنه يعاوده الحنين والشوق لماضيه وتراثه النابع من وطنه ووسطه الاجتماعي الذي نشأ وترعرع فيه. وكما يقال : «الرجوع إلى الأصل أصل».

قد يقول أحد الملاحظين من القراء الأعزاء بأن بعض هذه المعاني والأمثال سبقك إليها بعض المؤلفين في هذا المبدأ، فأجيبه بأن هذه المعاني والحكم ليست حكرا على أحد، أو خاصة بإبداعه وابتكاره، بل هي تراث شعبي يتأثر به كل منا حسب السنين التي طواها من عمره، ويعالجه بالطريقة التي يراها مفيدة للأجيال الحاضرة والمقبلة، وهو يتنامى معها ومع تطورها. وكلما تناول المؤلف هذا التراث الشعبي بما يجعل شرحه في المتناول للتأثر به، كلما كانت الاستفادة منه أفضل وكان استيعابه أفيد.

يعلم الله أني ما قصدت إلا المساهمة في الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وهو ولي التوفيق.

المؤلف

الأستاذ ادريس بن محمد بلفقيه دادون، ولد بمدينة فاس سنة 1935م لأب كان ممرضا بالمصالح الصحية. جند هذا الأب نفسه، وكرس حياته – رحمه الله - لهذا القطاع الصحي الهام طيلة حياته يعمل فيه ليلا بمستشفى «اظهر المهراز» آنذاك بهاته المدينة، وكان يقصده العديد من المواطنين للاستشفاء والعلاج، لما كان يتوفر عليه من خبرات وتجارب طبية قل نظيرها في تلك الحقبة. وبعد مضي ثلاث سنوات من عمره ألحقه الأب بالكتاب لتدارس مبادئ القراءة، وحفظ ما تيسر من كتاب الله على الطريقة القديمة، ثم ألحقه بالمدرسة الابتدائية، لتلقي مبادئها على عهد الحماية الفرنسية بالمغرب، إلا أن الظروف لم تتح له البقاء في مزاولة الدروس بها، عندما توفيت أمه، فتعثرت دراسته بها منذ صباه، إلا أن فضوله حثه على الانخراط في بعض الجمعيات التي كانت سائدة في عصره، وكانت يومئذ المبادئ الوطنية فيها تنتشر انتشار الكهرباء في الأسلاك، وفي كل الطبقات الشعبية على اختلاف مستوياتها: في المساجد، وفي المحافل الاجتماعية، والأندية الثقافية والرياضية، مما نفخ فيه روحا جديدة للانكباب على الدرس والتحصيل بالمؤسسات التعليمية الحرة.

ولم تمض غير مدة يسيرة حتى أحرز على الشهادة الابتدائية بتفوق، والتحق بمعهد النهضة الحرة، في حي المخفية بفاس، حصل منه على الشهادة الثانوية للدروس العصرية آنذاك، ثم التحق بجامعة القروين، وظل منكبا في الدرس والتحصيل بها، وبقضاء الأوقات الفارغة في مكتبتها الزاخرة بالكتب القيمة والمخطوطات المتنوعة والنادرة سنوات عدة، ثم التحق في أوائل الستينات بسلك التدريس. ولما نال شهادة الكفاءة في التعليم كرس حياته لميدانه في مدينة الدار البيضاء.

ثم أنجز امتحان التخرج من المدرسة العليا للأساتذة خلال مزاولة عمله بهاته المدينة، وقضى زهرة شبابه وكهولته في ممارسة التدريس والتعليم بما يتجاوز الأربعين سنة من عمره. وكان مثلا يحتذي في الإخلاص لهاته المهنة التي لا يفلح فيها إلا من كان متفانيا في العطاء وخدمة الوطن.

وقد تكونت على يده أجيال وأطر عليا من خيرة شباب الرعيل الأول من بداية عهد الاستقلال، إلى أن أحيل على المعاش في أواخر سنة 1996م.

فكم كان له الفضل في تكوين كثير من رجال التعليم على الطرق الناجعة والمفيدة في التعليم والتدريس. وذلك بإلقاء دروس نموذجية تطبيقية، لمجموعة من خيرة الأساتذة كان يقوم بها أمام مجموعة من مفتشي التعليم، ممن كانوا يشهدون له فيها بالدربة والخبرة والإخلاص للمهنة، والمساهمة في خدمة الناشئة، حتى صار مرجعا يقصده كل من كان في طور البداية لممارسة هاته المهنة الشاقة ذات المسؤولية الصعبة: التلقين والتربية، وكان ينال التنويه بأحسن نقطة في المراقبة والتفتيش على صعيد النيابة لكل سنة دراسية. أي عند نهايتها وختامها.

ونظرا لاحتكاكه منذ صباه بالطبقات الاجتماعية الشعبية، ونهله من حكمها وأمثالها ومعانيها، فقد أشار عليه الكثير من إخوانه في المهنة منذ سنوات، بأن لا يبخل على مواطنيه بجمع ما نقش في ذهنه منها، وبما سمعه أو يسمعه منها، حتى لا يضيع في طي النسيان، ولكن تستفيد منها ومن ثمارها الأجيال الحالية والمقبلة بإذن الله.

وها هو يلبي هذه الرغبة للإخوان والأخوات بمد مواطنيه بما يفوق الألفين وثلاثمئة من الحكم والأمثال والمعاني الشعبية ذات التوجيه التربوي، والمليء بالتجارب والخبرات بما هو صالح لأفراد المجتمع، فيقتفون أثره، ويحذون حذوه، وبما هو ضار ومؤذ لهم، فينتبهون إليه ويتجنبونه ويعرضون عنه.